محتويات العدد١٥ لعام٢٠٠٦

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
منهج الرسول في الدعوة المرحلة المكية في ضوء الكتاب والسنة	د. سعيد عبد الرحمن القزقي	١
دعوة الاسلام الى وحدة المجتمع الانساني ونبذ الفرقة	د. طارق محمد سميان	٥٧
الادغام الكبير	د. محمد خضير الزوبعي	٩١
فقه الخلاف واثره في الواقع	د. غازي خالد العبيدي	١٢٠
مفهوم العدالة وعلاقتها بالقانون	د. محمود حسن علي	١٦٨
التفسير العلمي في القران واثره في العقيدة والفكر	د. طارق محمد سميان	١٩٥
اقسام التوحيد وانواعه عند الصوفية	د. ثائر ابراهيم الشمري	٢٢٢
اراء النحاة في الوقت والامانة في كتاب الكنز للواسطي	د. غازي خالد العبيدي	٢٦٣
فقه الامام يحيى بن معين من خلال تاريخه	د. غازي خالد العبيدي	٢٧٨
اسرار الجبال في القران الكريم	د. اسماعيل محمد قرني	٣٣٩
رواية المبتدع واثرها في اختلاف الفقهاء	د.عثمان محمد غريب	٣٦٤

التفسير العلمي في القرآن الكريم وأثره في العقيدة والفكر

بحث تقدم به

الدكتور طارق محمد سميان

في العقيدة والفكر الإسلامي (عقائد – علوم – قرآن)

جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية

المبحث الاول

بداية ظهور التفسير العلمي

اتسع القول عند أصحاب هذه الطريقة (طريقة التفسير العلمي) في احتواء القرآن، كل العلوم فهو يشمل الى جانب العلوم الدينية الاعتقادية والعملية سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها وتعدد ألوانها، وقد ذكر الذهبي (رحمه الله) معنى هذا الوجه من التفسير بقوله:(هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها[1].

ويُذكر أن أول من استوفى هذا النوع من التفسير وبيانه وعمل ترويجه في الأوساط العلمية الإسلامية الإمام الغزالي (رحمة الله) فقد قال في كتابه الإحياء: (كل ما أشكل فهمه على النظار وأختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات في القرآن له رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها)[2].

ثُمَّ يروى عن ابن مسعود (رضي الله عنه) انه قال: (من أراد علمَ الأولين والآخرين فليتدبر القرآن)[3].

وفي كتاب (جواهرالقرآن) في كيفية انشعاب العلوم جميعها من القرآن الكريم بذكر، (علم الطب)، (النجوم)، (هيئة العالم)، (هيئة بدن الحيوان)، (وتشريح أعضائه)، (وعلم السحر)، (علم الطلسمات)... وغيره، ثم يقول: (وراء ما عددته علوم أخرى، تُعلم تراجمها ولا يخلو العالم عَمَّن يعرفها... والعلوم جميعها مفترقه من بحرٍ واحد من بحار الله تعالى، وهو بحر الأفعال، وأنه بحر لا ساحل له، وان البحر لو كان مداداً لكلماته لنفدَ البحر قبل أن تنفد، وذكر أنَّ من أفعال الله تعالى:

---

1) التفسير والمفسرون:- محمد حسين الذهبي ــ التفسير العلمي : ج٢،ص٤٧٤.

2) احياء علوم الدين ــ ابو حامد الغزالي:ج١ ،ص٢٨٩.

3) المصدر السابق ــ الاحياء ــ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد:-

قال تعالى:- (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[1]، وقد جعل الله سبحانه صلاح حال الناس وحياتهم مرتبطة بالإيمان به، فما أحوج الناس اليوم إلى الرجوع إلى كتاب ربهم ليعودوا إلى السبيل الأقوم الذي أراده الله لعباده فينالوا العيش الآمن والحياة الطيبة، كيف لا وقد أصبح الكثير من أمم العالم لا ترى الأمان ولا الاستقرار لان قادتها وساستها أصبحوا يتخبطون في توجههم المادي الذي لا طائل منه، فبواسطة المنهج الرباني يمكنهم العمل على الموازنة بين هذا التقدم المادي العلمي والهدي الإيماني الأخلاقي قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)[2].

وما أوجب على حملة القرآن من أن يحملوه بحق فهو واجبهم أمام الله وتجاه الإنسانية.

فعلاجاً لذلك وتقريباً لمعاني التوحيد والإيمان وزيادة في الإقناع وتقوية وتثبيتاً لهذه الحقائق في أذهان الناس فسيكون للتطابق القرآني مع الحقائق العلمية ما يجد به التائه ضالّته والمؤمن حجته والمفكر مقنعه إلى الطريق الأصوب في فهم القرآن وتفسيره بعقل المؤمن المجتهد الذي يتبين فيه أولو الألباب انهَّ الحقُّ المبين.

---

[1]) النساء :٩١

[2]) الأنفال:٢٤

١- الشفاء والمرض، كما قال الله حكاية عن إبراهيم (عليه السلام) (وإذا مرضتُ فهو يشفين)[١] ، وهذا الفعل لا يعرفه الأمن عرف الطب بكماله إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء وأسبابه)[٢].

٢- ويبين الإمام أن من أفعاله أيضا تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان في قوله تعالى: (الشمس والقمر بحسبان)[٣] ، وقال تعالى: (وقدَّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)[٤].وفي سورة يونس قال تعالى: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)[٥]، وفي سورة أخرى:(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)[٦]، ثم يقول: (ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما ، وولوج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئة تركيب السماوات والأرض وهو علم برأسه).

٣- ولا يُعْرف كمال معنى قوله تعالى: (يا ايها الإنسان ما غرَّك بربِّك الكريم، الذي خلقك فسوَّاك فعدلك في أي صورة ما شاء ركَّبك)[٧]، إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً، وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها وهي من علوم الأولين والآخرين)[٨].

ونجد أن الإمام السيوطي (رحمة الله) ينحى منحى الغزالي في هذا اللون من التفسير فيعمد قوله تعالى:(ما فرطنا في الكتاب من شيء)[٩].

---

1) الشعراء / ٨٠

2) جواهر القرآن ــ ابو حامد الغزالي ــ ص٢٥- ٢٦.

3) الرحمن /٥

4) يونس /٥

5) يس /٣٨

6) لقمان/٦١

7) الانفطار /٦،٧،٨

8) جواهر القرآن :ص٢٧

9) الانعام / ٣٨

وقوله سبحانه: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)[1].

وما أخرجه البيهقي عن الحسن قال:(أنزل الله مائة وأربعة كتب، وأودع علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة ــ الفرقان ــ)[2].

ونقل عن الذهبي (رحمة الله) إن بعض العلماء، استنبط أن عمر النبي (صلى الله عليه وسلم) ــ ثلاث وستون ستة ــ من قوله تعالى: (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء اجلها)[3]، فإنها راس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده[4].

ثم ذكر عن أبي الفضل المرسي انه قال في تفسيره: (جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم به، ثمَّ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم)، خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ثم ورث عنه مُعظَم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم والتابعون لهم بإحسان، ثم تقاصرت الهمم وقترت العزائم وتضاءل أهل العلم فقامت كل طائفة بفنٍ من فنونه.

ــ فاعتنى قوم بضَبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها...الخ فسموا بذلك (القرّاء).

ــ واعتنى النحاة: بالمعرب والمبني من الأسماء والأفعال والحروف وإعرابه، وآخرون بكل كلمة منهُ.

ــ واعتنى المفسرون بألفاظه، فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد، ولفظا يدلُ على معنيين، ولفظا يدلُ على اكثر، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه...الخ[5] .

---

1) النحل /٨٩

2) الاتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ،ج٢،ص١٢٥

3) المنافقين /١١

4) الاتقان :ج٢ ،ص١٢٥

5) المصدر السابق : ج٢،ص١٢٦.

ـ واعتنى الأصوليون بما فيه من الادلة القطعية والشواهد الاصلية والنظرية، مثل قوله تعالى: (لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا)[1]، ومن أخرى غيرها فاستنبطوا منها أدلة على: وحدانية الله، ووجوده وبقائه، وقدمه، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به وتسموا هذا العلم بـ(علم أصول الدين)[2].

ـ فتأملت طائفة معاني خطابه، فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص الى غيره فاستنبطوا منه إحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا في التخصيص والإضمار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهي والنسخ... الى غير ذلك من أنواع الاقية، واستصحاب الحال والاستقراء، وسموا هذا الفن أصول الفقهه.

ـ وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة والأمم الخالية ، ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء ، وسموا ذلك بالتاريخ.

ـ وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام ، وسائر الأحكام فأسسوا أصوله وفروعه وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا ، وسموُه بعلم الفروع[3].

ـ وتنبّه قوم الى ما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال وتكاد تدكدك الجبال ، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار ، وفصولا من المواعظ وفصولا من الزواجر ، فسموا بذلك الخطباء والوعّاظ.

ـ واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير ، من مثل ما في قصة يوسف ، في البقرات السمان ، وفي مناحي صاحبي السجن ، وفي رؤياه الشمس

1) الانبياء :٢٢

2) اي علم العقائد

3) المصدر نفسه: ١٢٧/٢.

والقمر والنجوم ساجدة ، وسموّهُ تعبير الرؤيا، فاستنبطوا كل رؤيا من الكتاب وتأويلها فان عزّ عليهم إخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب ، فان عزّ فمن الحكم والأمثال ، ثم نظروا الى اصطلاح العوام في مخاطباتهم وعرف عاداتهم الذي أشار إليه تعالى : (وأمر بالعرف)[1].

ـ واخذ قوم مما في بداية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك ، وسموه بعلم الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن ـ حساب الفرائض ، ومسائل العدل ، واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

ـ ثم يعدد بعد شرح كل علم انهم، استخرجوا علم المواقيت.

ـ استخراج الشعراء منه والكتّاب ما يحتاجونه في حسن السياق وبديع النظم وغيرها.

ـ ثم يقول، واحتوى علوم الطب ، والجدل ، والهيئة ، والجبر ، والمقابلة والنجامة، والهندسة من مثل قوله تعالى: (انطلقوا الى ظلٍّ ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يُغني من اللهب)[2]، فالقاعدة الهندسية هي إن الشكل المثلث لا ظلّ له[3]... الى غير ذلك مما يحتاج الى شرحه مجلدات.

من الملاحظ أن نزعة التفسير العلمي هذه تمتد من عنصر النهضة العباسية الى يومنا هذا ، فكانت الفكرة صريحة ومركزه على لسان الغزالي، وابن العربي ، والمرسي والسيوطي ، ولقد طبقّت الفكرة علمياً في مثل محاولات الرازي ضمن تفسيره للقران فحاول أن ينقل أفكار الغزالي الى دائرة التطبيق العملي ، فملأ تفسيره بمختلف أنواع العلوم والمعارف الإنسانية التي كانت سائدة في عصره ، شارحا مسائلها مبينا الحكمة الكامنة وراء كل آية قرآنية تتحدث في تلك الموضوعات ، وهو يبرر ذلك بان الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار ، وكيفية

1) الاعراف : ١٩٩.
2) المرسلات: ٣٠،٣١
3) الاتقان :ج٢،ص١٢٧.

أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر من سورة وكررها وأعادها مرة بعد مرة ، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابة منها ، ثمَّ انه كلما كان وقوف الإنسان على دقائق هذه العلوم في كتاب الله اكثر كان اعتباره في عظمته وجلاله اكمل[1].

1) دراسات في أصول التفسير – د . محسن عبد الحميد ،ص١٣١–١٣٢.

المبحث الثاني

إنكار الشاطبي للتفسير العلمي

كما هو معلوم أنّ الشاطبي (رحمه الله) قد وقف أمام فكرة إقحام العلوم المختلفة في تفسير القرآن ، واعتبرها غير صحيحة وقال: ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب ينبني عليه قواعد منها؛ إن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القران الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم ــ أي الرياضيات والهندسة ــ وغيرها ، وهذا إذا ما عرضناه على ما تقدم لم يصبح ، وإلا فان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا اعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه ولم يبلغنا انه تكلم احد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم .

وقد عزا الباحثون هذا الاتجاه العلمي في منهج التفسير اليوم الى أمور منها ، وهي ــ أهم حجج القائلين بالمنهج العلمي للتفسير في العصر الحديث وكما يلي:-

١- الرد على مخططات الغزو الفكري على الإسلام بإثبات ان القرآن لا يخالف العلم ولا يتعارض مع حقائقه[1].

٢- انّ هذا الاتجاه أراد ان يلفت انتباه المسلمين الى العلوم المختلفة كي يستفيدوا منها في بناء حضارتهم المجيدة ويتفوقوا على الإفرنج في الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم والصناعات.

٣- ويعزو الأستاذ مالك بن نبي هذه الظاهرة الى الصدمة التي حصلت للضمير الإسلامي في القرن التاسع عشر وفي هذا القرن تجاه الحضارة الغربية كما انهُ يعبرّ عن ظاهرة جديدة هي ؛ تلك العلمانية العقيمة التي

1) دراسات ــ د. محسن عبد الحميد :ص١٣٥.

ليست بالنسبة الى العالم الإسلامي الا عملية تعويض في الميدان الذي شعر بتحديّ الحضارة الغربيّة[1].

٤- الاغتباط الحاصل لدى المسلمين بسبب التوافق الناشئ بين الحقائق العلميّة الحديثة وبين اخلد ما ندين به وهو القرآن العظيم ، وهذا التوافق يخلصنا من أزمة الإحساس بالتخلف التي تؤرقنا[2].

لذا وضع العلماء بعض القواعد في بيان جوانب هذا الإعجاز في ضوء العلم وجَبَ ان يُحكم هذا البيان والتفسير ولئلا يكون موضعاً للنقد وليسلم للحقيقة وكما يلي:-

ـ القواعد العامة للتفسير العلمي ـ

اولا:- يجب على المفسِّر ان لا يخالف القواعد اللغوية الواضحة المقرَرة في التفاسير والمعجمات اللغوية ، ذلك انّ من أهم خصائص القران المطابقة لتلك القواعد.

ثانيا:- استنباط القضايا إما من صريح النص أو من إشارات قويّة واضحة كما قرّره وضرب له أمثلة الأستاذ حنفي احمد في كتابه(التفسير العلمي للآيات الكونية).

ثالثا:- يجب ان لا نفسّر القرآن الكريم الا بالحقائق العلمية ، والابتعاد عن إقحام النظريات العلمية والاحتمالات في تفسير آياته كما يقول الأستاذ الغمراوي ، (ينبغي الا نفسر كونيات القرآن الا باليقيني الثّابت من العلم ....).

رابعا:- لابُدَّ من جمع الآيات الواردة في الموضوع المبحوث عنه حتى نستطيع ان نتوصل الى الحقيقة.

خامساً:- الوقوف عند الإطار العام لمعنى الآية وترك ذكر التفاصيل والاستطرادات حتى لا يخرج المفسِّر عن دائرة التفسير ، كما فعل الأستاذ الغمراوي في تفسير قوله تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير

---

1) المصدر نفسه ـ دراسات ـ

2) مباحث ـ د. عبد الستار حامد :ص١٣٥.

العزيز العليم)[1]. فهو لا يخرج عن الإطار العام لحركة الشمس في ضوء العلم الحديث[2]، وبهذا يمكن وضع طريق امثل لهذا التفسير.

المبحث الثالث

المسيرة العقلية والفكرية للتفسير العلمي

بَعدَ السبات الذي مرَّ على الأمة الإسلامية من عهد تخلفت فيه عن مسيرتها التي بدأتها حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري وفيه نجد أيضا الاتجاه نحو التفسير العلمي الذي اعتمده كثير من المفسرين ، حيث مضى القرن الثالث عشر بما فيه من طلائع التطور في الأوضاع وعوامل التنبيه للأفكار والتقليب في العوائد والطباع ، وجاء هذا القرن كما قال حافظ إبراهيم :(يسير على قدمين) من ليل ونهار ، ويطير بجناحين من كهرباء وبخار) ، فأيقظ مقدمةُ النفوس من سباتها إيقاظا مزعجاً وهز الأفكار هزاً عنيفاً ، ثم أوقفها أمامه خائرة غير تامة الانتصاب ، مضطربة مرتعشة من جراء الإيقاظ المزعج والهز العنيف اللذين ادخلهما عليه.

فتح الشرق عينيه على الوجود الذي واجهه من جديد بعد نومته العميقة ، ونظر الى الدنيا التي كان قد اعرض عنها وذهل عن مراقبتها برهةً قصيرة فيما يحسب ، فإذا هي غير الدنيا التي كان قد عرفها قبل إعراضه وذهوله ، وإذا هو كالرجل الذي[3] (أماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت)؟.

قال: لبثتُ يوماً او بعض يوم)[4].

وقد استقبل ابن خلدون القرن التاسع الهجري بنظرة مشفقة من عواقب ذلك الدوران حين يقول: (واعتبر بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة ، لماً كثرُ عمرانها صدرَ الإسلام واستوت فيها الحضارة ، كيف زخرت فيها ثمار

---

1) يس:٣٨.

2) دراسات ــ د. محسن عبد الحميد :ص١٣٦-١٣٧ (باختصار).

3) اشارة الى اية :٢٥٩من سورة البقرة.

4) البقرة /٢٥٩.

العلم ، وتفننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم، واستنباط المسائل والفنون ، حتى اربوا على المتقدمين ، وفاتوا المتأخرين ، ولما تناقص عمرانها واذعر سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة ، وفقدَ العلمُ بها والتعليم) ، ثم يقول في خشية وإشفاق :(وما ادري ما فعل الله بالمشرق)[1] .

وفيما كان العالم الا سلامي يتطلع من حيرته الى حكمة تخرج له الحقائق الدينية نقيّةً من وراء أسوار البدع ، ويتصور هذا العمل المنتظر في صورة ربما كان يتصورها اقتباسا من مثل لها مرّت به في القرون الغابرة من آثار الطرطوشي والشاطبي وابن الحاج وابن تيمية وابن القيم والشوكاني والرهوني والسنوسي وابن عبد الوهاب . كانت محاولات منصبّة إليه من الغرب ومن الشرق تتجه الى قَطع أمله من تجديد كيانه الإسلامي .إذ تبرز له الحقائق الدينية وراء ذلك السور ولن تستطيع ان تجد فيه منفذا للخلاص .

فكان الذي تحقق فيه أمل العالم الإسلامي بروز دعوة دينية هادية تكفل إظهار الحقائق المحمدية من وراء سياج البدع ، وترد غائلة هذه التيارات العادية التي كانت توشك ان تؤدي به، هو رجل من أرومة العرب المستعجمين ينتمي الى النسب الحسيني الطاهر ، نشا بين نخوة النسب ، وحكمة العلم ، وخبرة السياسة ، واستكمل جهازه العلمي في العربية والعجمية ، من علوم لسانية وأدبية ودينية وعقلية ، فبلغ فيها المنتهى على ماهو شان أهل القطر الذي نشا فيه وهو بلاد أفغانستان ، وهو: (السيد جمال الدين الأفغاني)[2]. وهو مصدق التوقع الذي كان قد توقعه العلامة ابن خلدون من أن : (بضائع العلوم الحكمية لم تزل متوفرة في عراق العجم وما بعده ، وانهم على ثجٍّ من العلوم الحكميّة)، فقد كانت نشأة السيد الأفغاني على دراسة حكمية عميقة سامية خالط بها ابن سينا والغزالي وابن رشد والإمام الرازي وابن خلدون ، وامتزج فيها مع السهروردي

1) انظر ـالمقدمة ـ لابن خلدون.

2) انظر كتاب الأفغاني ـ المفترى عليه ـ د. محسن عبد الحميد.

، والكاتبي ، والقطبين : الرازي والشيرازي ، والعضد ، والدواني ، واللبيدي ، والسعد ، والسيد[1].

على هذا اتخذ هذا الرجل في اعتماده الآية الكريمة : (انَّ الله لا يغيرً ما بقوم حتَّى يغيروا ما بأنفسهم)[2] ، في طريقتها الإصلاحية للمجتمع الإسلامي.

وكان في مقدمة المنتسبين إليه والآخذين عنه منْ هُو عضده في علمه وعمله والقائم على حكمته ومذهبه الإصلاحي من بعده الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، حيث أفاد منه عندما أقام كما يقيم الوافدون من الناس في (خان الخليلي) في مصر وكانت يد الجبروت التي خرجت بالسيد جمال الدين من الهند ، قد خرجت قبله من حيث لا يعلم هو بصديقه وتلميذه من مصر منفيا فأقام في بيروت ، وجمعت رياح الأحداث بين الرجلين في باريس أوائل السنة الموالية ، فامتزجت الروح بالروح ، وتجسَّمت الفكرة بالقلم واقبل جمال الدين بعقله ومحمد عبده بقلمه يخطَّان منهج الخلاص في (جريدة العروة الوثقى) ، وبعد فترة من العمل الدؤوب النافع لوضع العلاج والأدواء للأمراض انتهى المطاف بعد تنقُّله كيفما شاءت الأقدار بوفاة السيد جمال الدين في الأستانة سنة١٣١٤هـ /١٨٩٦م ، وأمّا الشيخ محمد عبده فرجع من باريس الى تونس ثم انتقل الى بيروت فمصر سنة١٣٠٦هـ فأصبح الشيخ محمد عبده في الحقيقة أثرا من آثار السيد الأفغاني لم ينفذ الى لباب المعارف الا بتوجيهه ولم يتذوق روح حكمتها الا بنفحاته ، فقد كان ما رآه الشيخ ان القرآن هو الدواء الشافي للمسلمين مما هم فيه ولكنهم لا يتناولونه فأين اليد التي تقرب من هذا المريض دواءهُ ، لا جرم إنها لن تكون الا يد التعليم الصحيح للإسلام والتفسير الحكيم للقران.

فكان دخوله لبيروت بهذا اليقين مصادف بحركة إصلاحية إسلامية تغلي كان قد ألهبها فيها المصلح مدحت باشا وهو واليا عليها وألهب حرصُ المسلمين على مجاراة المسيحيين في نهضتهم التعليمية ، وهناك ابتدأ ينتهج النهج الذي رآه الموصّل الى تحقيق حالة إسعاد المسلمين والإسلام وهو منهج تقرير العقيدة

---

1) الفقير ورجاله ت ابن عاشور : ٢٢٥.

2) الرعد/١١.

الدينية وتفسير القرآن ، تقريراً وتفسيراً يتجردان عما ربط به كل منهما من الطرائق الملتزمة والأنظار غير المسلّمة[1]، فابتدأ بالجامع العمري ببيروت يُعدُ مجلساً للتفسير لا تتبع فيه الطريقة الملتزمة يومئذ من الاعتماد على كتاب يقرر كلامهُ ويدور البحث حول مسائلة وعباراته ، ولكنه كان يقرأ الآية من القرآن ويفيض في شرح معانيها واستخراج أسرار حكمتها على طريقة لم يسبق إليها ، ويلتفت على نور تلك الحكمة القرآنية الى أحوال المسلمين وأوضاعهم مبيناً فسادها بالمقارنة ومستمداً من الهدي القرآني ما يوضح ضررها ويشير إلى ما يدفع خطرها ، ولمّا عاد الى مصر عاود تفسيره بالجامع الأزهر سنة١٣١٧هـ ، فاستمر على ذلك الدرس ست سنين بطريقته العجيبة وكان تلميذه السيد محمد رشيد رضا يلحظ تلك الدروس وينشرها في مجلته الإسلامية الكبرى (مجلة المنار) لذلك اشتهر تفسيره باسم (تفسير المنار)[2]، فكان التفسير سائرا على منهج الاعتناء بحاجة العصر وعدم التقيد بما هو موجود في كتب التفسير وتدارك ما خلت منه من مدارك الحكمة الإسلامية الجديدة بالإبراز والتقدير ، واصبح الشيخ رشيد رضا لا يتحرى حكاية او تلخيصاً لما يقوله الأستاذ الإمام بل كان يكتب ما يجد في نفسه من إدراك لمعنى الآية بما ثار في فكره أو انساق إليه علمُه مما يوضّح معنى الآية ، ويحتفل لإيراد ما اختص ببيانه الأستاذ من المعاني المستجدة المبتكرة فيعزو إليه ذلك صراحةً ، وكان الأستاذ يقرهُ على ذلك لمّا كان حيّاً[3]، ولمّا توفي الأستاذ واستمرت مجلة المنار تنشر دروس التفسير اصبح التحرير واضحا في التفرقة بين ماهو منقول عنهُ وما هو من بيان الكاتب واستقل الشيخ رشيد وحدهُ بأعباء التفسير فأكمل منه الى نهاية الجزء الثاني عند قوله تعالى: (وان الله لا يهدي كيد الخائنين)[4]، من سورة يوسف فكان ما

1) المصدر نفسه : ٢٣٥-٢٤٠ (بتصرف).

2) المصدر نفسه:ص٢٤٢.

3) المصدر نفسه:ص٢٥٢.

4) يوسف / ٥٢.

كتبه اعتماداً على أستاذه اقل من خمسة أجزاء وما كتبه وحده بعده أكثر من سبعة أجزاء فكان حظه في المجموع اغلب ، وانتساب هذا التفسير إليه أحق.

فكان الشيخ رشيد رضا بما امتزج بالأستاذ الإمام روحيا وفكرياً قد تأثر بهذا المنهج وسايره رغم انَّ تكونَّهُ الأصلي كان اثرياً الا انه صرّح في المقدمة بانَّ : (أكثر ما روي في التفسير بالمأثور حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية)[1].

غير انه لما استقل بمعاناة العمل من مبدئه ، بدا هواه الأول للعلوم النقلية الأثرية يُعاوده ويأخذ به فمال إليها ، وتتبع رجاله الأولين مثل الطبري وابن كثير وآخرين ، فبدت على التفسير مسحةً أثرية ما كانت باديةً على أجزائه الخمسة الأولى.

فبرزت في مجموع ذلك الوحدة التي جعلت من تفسير المنار مراد القرن التاسع عشر الميلادي والرابع عشر الهجري، مع ما استفادة الشيخ رشيد من لقائه بعَلَم من أعلام النهضة الفكريّة الإسلامية هو الشيخ حسين الجسر وكان من أهل اليقظة والعمل كما وصفه تلميذه الشيخ رشيد : (الوحيد في الجمع بين العلوم الإسلامية ومعرفة حالة العصر المدنيّة) . فتوجَّه تلميذه به في تغيير المنكر وجهة جديدة أصبحت تقصد الى إرشاد المسلمين إلى المدينة والمحافظة على ملكهم وحضارتهم ومباراة الأمم الغزيرة في العلوم والفنون والصناعات[2].

فنجد بَعد هذه الصحوة نمو الاتجاه العلمي في العصور الأخيرة فظهرت تفاسير ومؤلفات مستقلّة أودع فيها أصحابها كل ما توصّل إليه العصر من علوم ومعارف منها تفسير علمي ألفه الطبيب الإسكندري ــ محمد بن احمد ــ في ثلاثة أجزاء سمّاهُ:(كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية).

---

1) المصدر نفسه: ٢٥٢ت ٢٥٣.

2) التفسير ورجاله ت محمد الفاضل إبن عاشور (نهضة الإسلام) بتصرف.

ومنها كتاب لعبد الله فكري في (مقارنة بعض مباحث الفلك بالوارد في النصوص الشرعيّة) ومنها (الإسلام والطب الحديث) للطبيب الدكتور عبد العزيز إسماعيل[1].

ومنها التفسير الضخم المسمى (تفسير الجواهر) للشيخ طنطاوي جوهري الذي يقع في خمسة وعشرين مجلداً ومنها: (مجموعة التفاسير العلميّة)التي نشرها الدكتور محمد احمد الغمراوي ــ في المجلات المصريّة ، وطبعت بعد وفاته سنة ١٩٧٣م تحت عنوان : (الإسلام في عصر العلم) ومنها (تفسير الآيات الكونيّة) للأستاذ حنفي احمد ، وحسب رأي الدكتور محسن عبد الحميد : لقد اتبعا أسسا وُفّقا فيها في هذا المضمار كُلٌ من الأستاذ الغمراوي والدكتور حنفي احمد نذكرها بإيجاز:

الأول: يُحاول كُلُ منهما ان يُحدِّد المعنى اللغوي للآية تحديداً دقيقاً.

الثاني: لا يستطردان في تفاصيل الموضوعات العلميّة المتعلقة بتفسير الآية... وطريقتهما في وصف الكائنات تقوم على ذكر المبادئ والأسس الضرورية حثاً على البحث.

الثالث: لا يحاول أي منهما إخضاع النصوص القرآنية لاحتمالات النظريات العلميّة[2]، الا نادراً ، وكذلك ما ذكره عبد الرحمن الكواكبي بقوله : (ان القرآن اشتمل على النظريات العلميّة التي وجدت أنها تؤيد إعجاز القرآن الكريم مثل اكتشافهم إن مادّة الكون هي الأثير فقد وصف القرآن بدءَ التكوين فقال: (ثم استوى الى السماء وهي دخان)[3]، واكتشفوا ان الأرض في حركة دائمة دائبة والقرآن يقول ــ (وكُلٌ في فلك يَسبحون)[4] .

---

1) دراسات ــ د. محسن عبد الحميد :ص١٣٤.

2) المصدر نفسه.

3) فصلت /١١.

4) يس/٤٠.

وحقّقوا ان الأرض متفتقة من النظام الشمسي والقرآن يقول – (أو لم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما[1]، وحققوا ان طبقات الأرض سبع والقران يقول (خَلَقَ سَبْعَ سماواتٍ ومن الأرض مِثلهُنَ)[2].

ويرى الباحث في قوله تعالى في وصف النجوم بالطارق – والسماء والطارق –[3] ، ومعناه القادم والآتي ليلاً ثم استعمل القادم ليلا ونهاراً فيستدل منه أنّهُ تعالى نَعتَ النجوم بالحركة في السماء ن ولكنَّهُ يرى ان النجوم ثابتة في السماء ، فبعدَ البحث يعثر على ضالته في آية رابعة في قوله تعالى في سورة طه: (تنزيلاً ممَّن خلقَ الأرض والسماوات العُلى)[4]، الذي يصف فيها ارتفاع السماوات عن الأرض ، بأنه ارتفاع عظيم جداً فوق ما يتمكن تقديره ، فيعلم من ذلك انَّه تعالى قد قال انَ النجوم ترى ثابتة ، وقال ما يعارضُهُ بأنها متحركة فأزال هذا التعارض الظاهري ببيان بعدها الساحق عن الأرض[5]. وكذلك إحساسنا بان الأرض ثابتة ولكن لصغر موقعنا ولا يدلنا على حركتها العظيمة الا اختلاف الوقت والفصول.

وإذا ما انتقلنا بين بطون الكتب الحديثة العلمية التي أصبحت تتخذ أسلوبا يقرب للناس المعاني القرآنية العلميَة وكذلك الحسيّة في مثل كتاب(التصوير الفني في القرآن) فلنأخذ مثلا قوله تعالى(ما ينظرون الا صيحةً واحدةً تأخذهم ، وهم يخصمون فلا يستطيعون توصيةً ، ولا الى أهلهم يرجعون)[6]، فهذه هي الصيحة الأولى أخذتهم وهم يتجادلون ويتخاصمون ، فلم يستطيعوا حتى التوصية لأنها عجلت بهم الى القبور ثمَّ (ونفخ في الصور ، فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ، قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ هذا ما وعد الرحمن

---

1) الانبياء/٣٠

2) مباحث في علم التفسير – د عبد الستار حامد: ص١٣٣، والاية :الطلاق/١٢

3) الطارق/١

4) طه/٤

5) التفسير العلمي للآيات الكونية – للأستاذ حنفي احمد ص:١٤٠.

6) يس/ ٤٩،٥٠

وصدق المرسلون)[1]. وهذه هي الصيحة الثانية ، وها هم أولاء يسرعون من القبور الى ربهم وهم في ذعر ودهش ، يتساءلون(من بعثنا من مرقدنا) ؟ ثم يفركون عيونهم فيتحققون (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلين) ، (ان كانت الا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ، فاليوم لا تظلم نفس شيئا ، ولا تجزون الا ما كنتم تعملون)[2].

ولقد حضروا فعلا ، وارتسم المشهد ، وها هم أولاء يتلقون الخطاب على مرأى ومسمع ممنّ يقرأون الآن هذا الكتاب[3]: (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ، ولا تجزون الا ما كنتم تعملون).

وكذلك من مثل ما ذكره الأستاذ عبد الرزاق نوفل فيقول: نزلت سورة كاملة في القرآن الكريم عن الدخان المبين تكشف عن حالة العذاب الأليم التي ستعتري الناس ، فصلتها الآيات في هذه السورة إذ يقول (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم)[4]. وقد قال المفسرون إنها حالة جدب تعثري الدنيا وتجوع الناس حتى يخيل لهم من جوعهم ان السماء بها دخان ، وقال البعض إن من أحوال القيامة وأهوالها... أن السماء ستكون دخانا يوم القيامة او قبيلها اذ يكون دليلا على قيامها ولكنّ الآيات اللاحقة لها تثبت أنها في الدنيا وليس في الآخرة ونصّ الآيات: (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، أنّى لَهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ، ثُمّ تولوا عنهُ وقالوا مُعلّمٌ مجنون)[5].

إذ أن العباد سيجأرون بالشكوى إلى الله طالبين صرف العذاب عنهم فهم مؤمنون ... ثمّ تتوالى الآيات فتؤكّد انّ ذلك في الدنيا اذ ان الله سبحانهُ سيكشف عنهم العذاب قليلا وبالرغم من ذلك سيعود العباد مرةً أخرى الى المعاصي ، فلا يلبث الله سبحانه ان يبطش بهم البطشة الكبرى للانتقام ، وذلك بقيام الساعة

---

1) يس /٥١،٥٢

2) يس /٥٢،٥٣،٥٤

3) التصوير الفني في القرآن ــ سيد قطب /٥٤.

4) الدخان :١٠

5) الدخان:١٢

بقوله : (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون ، يوم نبطش البطشة الكبرى ،إنا منتقمون)[1]، فهل هذه السورة تعدّ نبوءة للقران قال بها فتحققت ... أو تقدير سبق علمي[2] ...الله اعلم.

ولنأخذ مثلاً آخر في كتاب (الطب محراب الإيمان) في موضوع حدود الحواس نقف عند عتبة خطيرة وهي محدودية الحواس ، ان البصر له حدود لا يتجاوزها في شروطه الأربعة لرؤية شيء مهم ، كما ان نفس الشيء المرئي اذا ابتعد اكثر من اللازم لم يعد يرى واذا اقترب اكثر من اللازم تشوشت رؤيته ، وهي ما تعرف بنقطة المدى ونقطة الكتب والألوان المرئية لها طيوف يمكن للعين ان تبصرها ولكن هناك إشعاعات عديدة لا تراها العين ولا يدركها البصر ، اذ ان هذا يحملنا ان نقول ان هناك أشياء غير منظورة في هذا الكون ، فهناك إشعاعات مجهولة ، وطاقات خبيئة ، وقوى خفية ولكن الإنسان يستوعب اللامحسوسات بذهنه المتقد الجبّار قال تعالى : (فلا اقسمُ بما تبصرون وما لا تبصرون ، انهُ لقول رسولٍ كريمٍ)[3] .(لا تدركهُ الأبصار وهو يدرك الأبصار وهوَ اللطيف الخبير ، قد جاءكم بصائرُ منْ ربكم)[4].

والقصّة الرائعة الجميلة عندما طلب موسى من ربه الرؤية تعلمنا بعض الأسرار التي نبحثها: (ولمَّا جاء موسى لميقاتنا وكلمَّهُ ربَّه قال ربي ارني أنظر إليك ، قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخرَّ موسى صعقاً، فلما أفاق قال سبحانك تبت أليك وأنا أول المؤمنين)[5].

وفي كتاب ــ الإيمان والحياة ــ يقول أديب غربي من كلمة يستقبل بها عاماً جديداً ، قلت للرجل الواقف على باب العام: (اعطني نوراً استضيء به في

---

1) الدخان: ١٦-١٥.

2) القرآن والعلم الحديث ــ عبد الرزاق نوفل:ص١٨٠

3)الحاقة / ٣٨،٣٩،٤٠.

4)الانعام/١٤١.

5) الطب محراب الايمان ــ د. خالص كنجو ــص٢٢٢ــ والاية : الاعراف:١٤٣

ظلمات الطريق قال: ضع يدك في يد الله فانّه يهديك سواء السبيل ، فكيف يشعر بالوحدة من يقرأ في كتاب ربه : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله إن الله واسع عليم)[1]. وقول موسى لبني إسرائيل : (إن معي ربي سيهدين)[2].وقول محمد (صلى الله عليه وسلم) لصاحبه في الغار (لا تحزن إن الله معنا)[3].

ونظرة نموذجية في كتاب ــ ملامح كونية في القران ــ في قوله تعالى (فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسمٌ لو تعلمون عظيم)[4]. هل انّ مواقع النجوم قريبة إلينا أم أنها من البعد بحيث يظهر لنا مبرر القسم بها وعظم القسم !؟ انّ نجوماً لا تحصى تبدو على عدسة التلسكوب وهي تبعدُ عن الأرض مليارات السنين الضوئية ... مجرّة تقع على بعد ثمانية عشر مليار سنة ضوئية ثم رصدهما بالتلسكوب مؤخراً أي ضوءها الواصل إلينا الآن كان قد غادرها منذ ثمانية عشر مليار سنة...

وتستطيع ان تعدَّ المجرّة نجماً من بعيد إذا لاحت لعينيك نقطة من ضوء أما عندَ إصرارك على تسمية الأشياء باسمها فالمجرة لا تخلو من نجوم بل انها تحتوي الملايين وقل مليارات أحيانا ولا تبالي ... فقلنا أي مواقع سحيقة تلك التي يقسم بها الخالق؟ بأبعادها المذهلة ؟ ومن عظمة المواقع التي تحكمها قوانين الى انضباط صارم في العمل الى تزود ذاتي بوقود الحركة والاستمرار وما لا يعلمه الا الخالق المدبّر[5].

وفي مخاطبة الله تعالى لنبيه الكريم : (وانّه لذكر لكَ ولقومكَ وسوف تسألون)[6].

---

1) البقرة/١١٥

2) الشعراء:٣٧٠

3) الايمان والحياة ــ د. يوسف القرضاوي:ص١٢٥والاية :١٩٣

4) الواقعة :٧٥،٧٦.

5) ملامح كونية في القران ــ شاكر عبد الجبار ــ ص٨-٦ (بتصرف)

6) الزخرف :٤٤

فالقرآن هو ذكر لقوم النبي الكريم محمد صلى الله وعليه وسلم ــ لأنه: هو الذي جعل لهم دورهم الأكبر في تاريخ البشرية ، وهو الذي واجهوا به الدنيا فعرفتهم ودانت لهم طوال فترة استمسكوا فيها به... وإنها لتبعيّة ضخمة تسأل عنها الأمة التي اختارها الله لدينه ، واختارها لقيادة القافلة البشرية)[1] .

وفي قوله تعالى : (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، ذلكم الله ربكم له الملك)[2]. ففي هذه الآية معجزة علميّة للقران فقد اخبر ان الجنين له ثلاثة أغشية سمّاها ظلمات وهي الآن يطلق عليها:

أ- الغشاء المنباري ب- الخوربون جـ - الغشاء اللغائغي . والجدير بالذكر ان هذه الأغشية لا تظهر الا بالتشريح الدقيق وتظهر كأنها غشاء واحد بالعين المجردة[3].

وفي قوله تعالى: (او لم ير الذين كفروا ان السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حيٍّ أفلا يؤمنون)[4].ونحوها من الآيات هو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدرً لهُ في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان...فالإسلام في هذه الدعوى والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه ــ وهو ما يسمى بالنظام الطبيعي ــ فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية[5].

1) في ظلال القران ــ سيد قطب :ج٧،ص٨٤.

2) الزمر/٤٩٥

3) روح الدين الاسلامي ــعفيف عبد الفتاح طباره:ص٦٢.

4) الانبياء/٣٠

5) الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ــ محمد عبده:ص٤٩.

المبحث الرابع

اثر التفسير العلمي على العقيدة والفكر في العصر الحديث

من المعلوم ان القران الكريم لم ينزّل ليكون كتاب هيئة او فلك او طب او زراعة او صناعة ، ولكنه كتابُ هداية وإرشاد وتوجيه اجتماعي الى امهات المناهج الاجتماعية التي اذا سلكها الناس سعدوا فيه دنياهم وفازوا في اخرتهم ، وهو انما يعرض للعلوم الكونية ولمظاهر الوجود المادية الطبيعية بالقدر الذي يعين على الايمان بعظمة الخالق (جل وعلا) ويكشف عن بديع صنعه وعما اودع في هذا الكون من المنافع والفوائد لبني الانسان حتى ييسر لهم بذلك طرائق الاهتداء الى الاستفادة من هذه الخيرات في الارض والسماء وفيما بين ذلك ، ثم ترك للعقل الانساني ان يجاهد ويكافح في سبيل الكشف عن مساتير هذا الوجود ، والاستفادة مما فيه من قوى ومنافع وحثّ على ذلك وجعل هذا من افضل العبادة واعلى انواع ذكر الله : (قُل انظروا ماذا في السماوات والارض)[1] ،(ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[2].

ومن مثل قوله تعالى:(مَثَلُ الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)[3].

الحقيقة الملفتة للنظر هي وصف بيت العنكبوت بانه اوهن البيوت ، ولم يَقُل القرآن خَيط العنكبوت او نسيج العنكبوت وانما قال بيت العنكبوت وهي مسالة لها دلالة ولها سبب ، والعلم كشف الان بالقياس ان خيط العنكبوت اقوى من مثيله منَ الصُلب ثلاث مرات ... واقوى من خيط الحرير واكثر منهُ مرونة

1) يونس/١١٠

2) مقدمة في التفسير للامام حسن البنا:ص١٨ وما بعدها،والاية :ال عمران /١٩٠،١٩١.

3) العنكبوت:٤١.

فيكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت وافياً بالغرض وزيادة ... ويكون بالنسبة له قلعة امينة حصينة.

فلماذا يقول القرآن ... ويختم بكلمة : (لو كانوا يعلمون) ، لابدَّ انَّ هناك سرا ، والواقع ان هناك سراً بيولوجيا كشف العلمُ فيما كشف لنا مؤخراً.

فالحقيقة انَّ بيت العنكبوت هو ابعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من امان وسكينة وطمانينة ، فالعنكبوت الانثى هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه وهي الحاكمة عليه وهي تقتل ذكرها بعد انْ يلقحها وتأكله ... والأبناء يأكل بعضهم بعضا بعد الخروج من البيض ، ولهذا يعمد الذكر الى الفرار بجلده بعد ان يلقح انثاه ولا يحاول ان يضع قدمه في بيتها.

وتغزل انثى العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكمينا لكلِّ حشرة صغيرة تفكر في ان تقترب منه، وكل من يدخل البيت من زوار وضيوف يُقتَل ويُلتهم ، انه ليس بيتاً اذاً ! بل مذبحة يختم عليها الخوف والتربص ، وانه لأوهن البيوت لمنْ يُحاول ان يتخذ منه ملجأ...

والوهن هذا كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة وهذا شأن من يلجأ لغير الله ليتخذ منهُ معيناً ونصيراً، (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء (انصاراً) كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وانَ اوهن البيوت لبيت العنكبوت — لو كانوا يعلمون) .

ذروة في دقّة التعبير وخفاء المعاني ومحكم الكلمات واسرار العلوم مما كان معروفاً ايام النبي وممّا لم يُعرف الا بعد موته بالف عام ... واعجاز قطعي لا شك فيه يتحدى العقل ان يجد مصدراً لهذا العلم غير مصدر الالهي[1].

وفي سورة الكهف نقرأ مثلا اخر حينما يروي القرآن عنْ رقدة اهل الكهف: (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً)[2] . فنعلم الان بالحساب الفلكي ان الثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي تساوي ثلاثمائة وتسعا بالتقويم القمري — باليوم والساعة والدقيقة — وكان التقويم المتبع ايامَ نزول الايات

1) محاولة لفهم عصري للقرآن ـد. مصطفى محمود :ص٢٥٤ـ٢٥٣.

2)الكهف /٢٥

قمرياً فلزم ان يقول القرآن ان السنوات قد ازدادت تسعاً ــ وهو الفرق بيت التقويمين وهذا سرّ لم يُعرف الا الان[1].

ــ البعد الزمني بين القرآن ــ

أن من اهم اسرار القرآن وكنوزه العلمية ذات الدلالة الفكريّة والعقائدية الحساب الزمني في العديد من الايات حيث يتحدث القرآن عن البعدُ الزمني الذي يلفت الانظار في ايات موجبة ذات دلالات عميقة.

(قال: كم لبثتَ؟قال: لبثت يوماً او بعض يوم)[2].

(ويَوْمَ يحشُرهم كأن لم يلبثوا الا ساعةً من النهار)[3].

(يَوْمَ يدعوكم فتستجيبون بحمده ، وتظنون ان لبثتم الا قليلاً)[4].

(قالوا : لبثنا يوماً او بعض يوم فاسأل العادّين)[5].

(ويوم تقومُ الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة)[6].

(ثُمّ يعرُج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدّون)[7].

(يسأله من في السموات والأرض ، كل يوم هو في شان)[8].

(كأنهم يوم يرونه لم يلبثوا الا عشيّة او ضحاها)[9].

(إذ يقول أمثلهم طريقة ، ان لبثتم الا يوما)[10].

(وان يوما عنْد ربك كألفِ سنةٍ مما تعدّون)[11].

---

1) المصدر السابق:ص٢٥٤

2) البقرة:٢٥٩

3) يونس:٤٥

4) الاسراء:٥٢

5) المؤمنون:١١٣

6) الروم:٥٥

7) السجدة:٥

8) الرحمن:٢٩

9) النازعات:٤٦

10) طه:١٠٤

11) الحج:٤٧

ادعوا ربكم يخففْ عنّا يوماً من العذاب)[1].

(الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام)[2].

ان بين هذه الايات المثبتة في حنايا القرآن وغيرها كثير ، ترابطاً وانسجاما رياضيا دقيقا وانّ فيها تأكيدا مستمراً على الحقيقة الكبرى التي لم تنكشف بعض جوانبها للعلم الا أخيراً ،(تلك هي ان الزمن في الأرض والزمن في امداد الكون ليسا سواء ، وانّ هناكَ فرقاً شاسعاً بين الوحدة الزمنية الأرضية والوحدة الزمنية الكونية تبلغ تارة(٣٦٥،٠٠٠ ضعفا) وتبلغ تارة أخرى(١٨،٢٥٠،٠٠٠) بحساب القرآن الكريم نَفْسه [3]... فأين نحن في حياتنا الدنيا وفي ايامنا الضئيلة التافهة هذه؟ من اجل ذلك سيشهده الناس يَوم القيامة وسيظنون ان حياتهم الدنيا لم تكن سوى ساعة من نهار ، وانهم لم يلبثوا الا قليلا ، وعندما يسال احدهم : كم لبثت ؟ يجيب : لبثتُ يوماً او بعض يوم. وأمّا المجرمون فيقسمون انهم ما لبثوا غير ساعة ...ويقول أمثلهم طريقة : انْ لبثتُ الا يوماً ويسعى هؤلاء المجرمون الى التأكد من هذه الحقيقة الواضحة للعيان فيلتمسون من الله (جلّ وعلا) انْ يسال العادين فلعل عندهم الخبر اليقين... ومن اجل ذلك كانت دعوة الكافرين وهُم يتخبطون في اعماق جهنّم ان يخفف ربهم عنهم يوماً واحدا من العذاب ، فما اشدّ هذا اليوم الكوني وما اطوله فهو ربَّما يكون (٣٦٥،٠٠٠ الف يوم ارضي) وربما يكون(١٨،٢٥٠،٠٠٠ مليون من أيامنا على الارض) حقيقة رهيبة هائلة .. تقشعر لها الابدان وتشعرنا لو كنا مؤمنين قليلا بضآلتنا وتفاهتنا وانحسارنا في زاوية من زوايا الكون لا تعدو أيامها ان تكون لحظات من الأيام هناك فيما وراء عالمنا الأرضي ونسبياته المحزنة[4].

---

1) غافر:٤٩

2) السجدة:٤

3) القرآن والبعد الزمني ــ د. عماد الدين خليل :ص٥-٤

4) المصدر السابق:ص٦-٥

الخاتمة

الحمد لله اولا وآخراً والصلاة والسلام على من اصطفاه مُعلماً وهادياً للعالمين فبعد:

لقد حاولت في هذا البحث الموجز ان اجمع البصمات الاولى التي وضعها علماؤنا الاجلاء في سبيل ابراز معاني حقة في القران الكريم وهي الاصل في العقيدة والدين ، وهي تبين ان توافق العلم معها يدلنا على الخالق تبارك وتعالى ، فيهتدي بها الضال حين يسترشد بعقله ويتفكر في ملكوت السماوات والارض كما بين سبحانه اهمية ذلك في قوله تعالى:

(إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لايات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)[1].

1) ال عمران:١٩١-١٩٠

المراجع والمصادر

أ- القران الكريم

ـ السنّة النبوية.

١	الإتقان في علوم القرآن ـ السيوطي ـ ط القاهرة ـ الحلبي ١٩٥١م.
٢	إحياء علوم الدين ـ الغزالي ـ ط الحلبي القاهرة ـ ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.
٣	الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ـ محمد عبدة ـ ط دار المنار القاهرة ـ١٣٧٣هـ.
٤	الإيمان والحياة ـ د. يوسف القرضاوي ـ ط٢ القاهرة مـ وهبة ١٩٨٧م.
٥	التصوير الفني في القرآن..سيد قطب ت ط٥ دار الشروق ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٦	التفسير العلمي للآيات الكونية في القران الكريم ـ حنفي احمد ـ ط دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.
٧	التفسير ورجاله ت: محمد الفاضل ابن عاشور ، ط تونس دار الكتب الشرقية ١٩٧٢م.
٨	التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ط القاهرة ١٣٨١هـ دار الكتب الحديثة.
٩	تفسير في ظلال القران ـ سيد قطب ط٧ دار احياء التراث العربي ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
١٠	جمال الدين الافغاني المفترى عليه ـ د. محسن عبد الحميد ـ ط بغداد
١١	جواهر القرآن ـ ابي حامد الغزالي ـ ط٣ دار الافاق ـ بيروت ١٩٧٨م.
١٢	دراسات في أصول التفسير ـ د. محسن عبد الحميد ـ ط٢ الدر البيضاء ١٩٨٤م.
١٣	روح الدين الاسلامي ـ عبد الفتاح طبارة ـ ط١٠ بيروت لبنان.
١٤	القرآن ـ محاولة لفهم عصري ـ د. مصطفى محمود ـ ط٢ القاهرة.
١٥	القرآن والبعد الزمني ـ د. عماد الدين خليل ـ ط ١ دار العلم للملايين ـ بيروت.
١٦	القرآن والعلم الحديث ـ عبد الرزاق نوفل ـ ط١ مصر ١٩٥٩م .
١٧	الطب محراب الايمان ـ خالص جلبي ـ كنجو ـ ط١ مكتبة المنار بغداد ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
١٨	مباحث في علم التفسير ـ د. عبد الستار حامد ـ ط بغداد ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م جامعة بغداد.
١٩	مقدمة في التفسير ـ الامام حسن البنا ـ ط١تونس.
٢٠	ملامح كونيّه في القرآن ـ شاكر عبد الجبار ـ ط١ بغداد ١٩٨٥م.